رسالة ماجستير

أحكام الوقف

الإمام يحيى بن محمد بن محمد الحطاب المالكي

إعداد

عبد القادر باجي

دار ابن حزم

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحفُوظَة

الطَّبعَةُ الأُولَى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

ISBN 978-9953-81-753-8

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: 14/6366
هاتف وفاكس: 701974 - 300227 (009611)
بريد إلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل تمهيدي

ويشمل ثلاثة مباحث

المبحث الأوّل: تعريف الوقف.

المبحث الثّاني: أركان الوقف، شروطه، وأنواعه.

المبحث الثّالث: تصنيف الفقهاء في باب الوقف.

المبحث الأوّل:

تعريف الوقف

أوّلاً: الوقف لغة:

الوقف هو المنع، ووقفت الدّار: حبستُها. وشيء موقوف ووقف، تسمية بالمصدر. وجمع الوقف أوقاف، ويقال: وقَفه، ولا يقال: أوقفه إلاّ في لغة رديئة.

ويسمّى الوقف أيضاً: الحُبُس؛ وهو لغة المنع والإمساك، فعله الماضي: حَبَس، وجمعه: حُبُس، وأحباس. وكلّ ما حُبِس بوجه من الوجوه، فهو حبيس؛ وهو ما وقفه صاحبه وقفاً محرّماً لا يورَث ولا يباع من أرض ونخل وكرم ومستغَلّ. والتّحبيس جعل الشّيء موقوفاً على التّأبيد، يقال: هذا حبيس في سبيل الله[1].

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور الإفريقي، إعداد وتصنيف: يوسف خيّاط، (دار لسان العرب، بيروت، لبنان)، مادّة (حبس): ٥٥١/١. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، لعياض بن موسى، (المكتبة العتيقة، دار التّراث، ط: ١٣٣٣هـ)، مادّة (وقف): ٢٩٣/٢. المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير، أحمد الفيومي، (المكتبة العلميّة، بيروت، لبنان)، مادّة (حبس): ١١٨/١. معجم مفردات ألفاظ القرآن، للرّاغب الأصفهاني، تقديم نديم مرعشلي، (دار الكتاب العربي، مطبعة التّقدّم العربي، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م): ص١٠٤.

ثانياً: الوقف شرعاً:

قال عياض: (الوقف والحبس بمعنى واحد عند المالكيّة، وهو: المال يوقف ويُحبس، مؤبّد الوجه من وجوه الخير، أو على قوم معيّنين)[١].

وقال ابن راشد: (الحبس هو إعطاء عين لمن يستوفي منافعها على التّأبيد)[٢]. وقد استدرك صاحب الثّمر الدّاني على هذا التّعريف، الذي قيّده صاحبه بعبارة: «**على التّأبيد**»؛ فقال: (الحُبُس هو إعطاء المنافع إمّا على سبيل التّأبيد، أو على مدّة معيّنة ثمّ يرجع ملكاً)[٣].

وقال ابن عرفة: (الوقف هو إعطاء منفعة شيء مدّة وجوده، لازماً بقاؤه في ملك معطيه، ولو تقديراً)[٤]. فالوقف ليس إعطاء ذات كالهبة، كما أنّه باق على مِلك المحبّس، ولا يخرج عنه.

(١) مشارق الأنوار: ٢/٢٩٣.

(٢) لباب اللّباب، محمّد بن راشد، (نهج سوق البلاط، الطّبعة التّونسيّة، ١٣٤٦هـ): ص٢٣٧.

(٣) الثّمر الدّاني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، الآبي الأزهري، (مطبعة الرغاية، الجزائر، ١٩٨٧م): ص٥٥٦.

(٤) شرح حدود ابن عرفة، محمّد الرّصّاع، (المكتبة العلميّة، تونس، المطبعة التّونسيّة، ١٣٥٠هـ): ص٤١١.

المبحث الثّاني:

أركانه، شروطه، وأنواعه

أ ـ أركانه، وشروط كلّ ركن[1]:

للوقف أركان أربعة: واقف، وموقوف، وموقوف عليه، وصيغة.

١ ـ **الواقف**: ويشترط فيه أن يكون مالكاً للذّات الموقوفة، عاقلاً، بالغاً، ذكراً كان أو أنثى، و ألاّ يكون محجوراً عليه؛ فيخرج بذلك الصّبيّ، والمجنون، والمكره؛ فلا يصحّ الوقف منهما.

٢ ـ **الموقوف عليه**: ويشترط فيه أن يكون أهلاً للتّملّك حقيقة، كالفقراء، وطلبة العلم، والقرآن؛ أو حكماً كمسجد وقنطرة ورباط؛ ولا يُشترَط الإسلام في الموقوف عليه، بل يصحّ الوقف على للكافر.

٣ ـ **الموقوف**: أن يكون ممّا يجوز الانتفاع به شرعاً، فيخرج ما يحرم الانتفاع به كآلة لهو وخنزير وخمر؛ فإن كان الوقف على هذا كان الوقف باطلاً.

٤ ـ **الصّيغة**: ويشترط فيها أن تكون معتبَرة شرعاً، كقول المالك: وقفت أو تصدّقت؛ ولو أطلق، فقال: تصدّقت بكذا، فيشترط أن يقيّدها بـ«لا يباع ولا يوهب»؛ فإن لم يقيّدها كانت صدقة.

---

(١) انظر: سراج السّالك شرح أسهل المسالك، لعثمان بن حسنين، (مؤسّسة العصر، وزارة الشّؤون الدّينيّة، الجزائر): ١٨٧/٢.

ب ـ أنـواعه:

١ ـ **من حيث الجهة الموقوف عليها**: ينقسم الوقف إلى قسمين:

أ ـ **الوقف الخيري**: هو الذي يوقف ابتداءاً على جهة خيريّة، وقد يستمرّ الأمر على ذلك، أو يكون بعدها وقفاً على شخص أو أشخاص معيّنين.

ب ـ **الوقف الأهلي**: هو الذي يوقف ابتداءاً على النّفس أو على شخص أو أشخاص معيّنين، ثمّ يكون بعدها وقفاً على جهة خيريّة.

٢ ـ **من حيث المال الموقوف**: ينقسم الوقف إلى قسمين:

أ ـ **وقف العقار**: كالأرضين والدّيار والحوانيت والجنّات والمساجد والآبار والقناطر والمقابر والطّرق، فهذه يجوز تحبيسها.

ب ـ **وقف المنقول**: كالكتب والحيوان والثّياب والسّلاح، وحصر ومصابيح المسجد، فوقفه صحيح عند جمهور الفقهاء. وهناك ما لا يجوز وقفه كالطّعام؛ لأنّ منفعته في استهلاكه[1].

(١) القوانين الفقهيّة، لابن جزي، نشر: عبدالرّحمٰن بن حمدة ومحمّد الأمين، (تونس، ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٦م): ٣٥٤.

المبحث الثّالث:

التّصنيف في الوقف

لقد اهتمّ علماء الدّين الإسلامي على اختلاف مذاهبهم اهتماماً بالغاً بالفقه، فكتبوا فيه وجمعوا شتات المسائل، وطرقوا جميع أبوابه ومباحثه. كما كتبوا في نوازل مختلفة كانت تقع للنّاس في أزمنة معيّنة، فيجيبون عنها، ويدوّنون إجاباتهم، لتكون عَوْناً لهم في مسائل مشابهة. ولم يفُتهم تدوين الأحكام والأقضية التي كانت تحدث للنّاس، فيعطون فيها أحكاماً فقهيّة في مختلف أبواب الفقه.

وزيادة على هذا الاهتمام، فقد يكون باب من أبواب الفقه غامضاً، أو كثُرت وقائع النّاس فيه، أو قلّت الأدلّة النّصّيّة؛ فاحتاج إلى بيانه وإبرازه على انفراد. ومن هذه الأبواب الفقهيّة التي احتاجت إلى هذا الصّنيع لسبب من الأسباب أو بمجموعها، باب الوقف.

لهذا نجد الفقهاء قد كتبوا في باب الوقف قديماً وحديثاً، وأفردوه بالتّأليف؛ وكان مِن أوّل مَن حاز قصبة السّبق في ذلك خلال القرن الثّالث للهجرة: هلال بن يحيى الحنفي البصري[1]، يُعرف بهلال الرّأي، فألّف فيه

---

(١) **هلال بن يحيى**: هو هلال بن يحيى بن مسلم، الحنفي، البصري، يعرف بهلال الرّأي، فقيه، صحب أبا يوسف. توفّي عام ٢٤٥هـ ـ ٨٥٩م. انظر تاج التّراجم في طبقات الحنفيّة، لابن قطلوبغا، (مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٢م)، رقم التّرجمة ٢٤٦. ص٨٠.

كتاباً سمّاه: (أحكام الوقف). وفي القرن نفسِه ألّف أحمد بن عمر الخصّاف[١] كتاباً سمّاه: (أحكام الوقف).

وفي القرن الخامس، ألّف أبو محمّد عبدالله بن الحسين النّاصحي[٢] كتاب (الأوقاف).

وفي القرن العاشر، ألّف إبراهيم بن موسى الطّرابلسي الحنفي[٣] كتاب (الإسعاف في أحكام الأوقاف)، اختصر فيه كتاب الخصّاف السّابق الذّكر.

هذا كلّه تأليف في المذهب الحنفي، أمّا في المذهب المالكي، فلعلّ أوّل من أفرد هذا الباب من أبواب الفقه بالتّأليف هو الشّيخ يحيى بن محمّد الحطّاب المالكي.

(١) **أحمد بن عمر**: ابن مُهَر (أبو بكر)، الخصّاف، الشّيباني، فقيه فرضي، محدّث. ولد عام ١٨١هـ ـ ٧٩٧م، وتوفّي عام ٢٦١هـ ـ ٨٧٥م. انظر: معجم المؤلّفين، عمر رضا كحّالة، (دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان؛ ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م): ٣٥/٢.

(٢) **عبدالله بن الحسين**: النّاصحي، الحنفي (أبو محمّد)، من القضاة، والمحدّثين، سمع منه ابن الضّراب. من تصانيفه درر الغوّاص في علوم الخواصّ، وتهذيب أدب القضاء للخصّاف. توفّي عام ٤٤٧هـ ـ ١٠٥٥م. انظر تاج التّراجم، رقم التّرجمة ٩٠: ص٣١.

(٣) **إبراهيم بن موسى**: ابن أبي بكر، الطّرابلسي، الحنفي (برهان الدّين)، نزيل القاهرة. من مصنّفاته: مواهب الرّحمٰن في مذهب النّعمان، وشرحه. ولد عام ٨٤٣هـ ـ ١٤٣٩م، وتوفّي عام ٩٢٢هـ ـ ١٥١٦م. انظر: معجم المؤلّفين: ١١٧/١.

القسم الأول

الدراسة

وتحته بابان:

الباب الأوّل: الشّيخ يحيى الحطّاب، عصره وحياته.

الباب الثّاني: دراسة كتاب أحكام الوقف، توثيقاً وتحليلاً.

الباب الأول

الشّيخ يحيى الحطّاب

وتحته فصلان:

الفصل الأوّل: عصر المؤلّف.

الفصل الثّاني: حياة المؤلّف.

الفصل الأوّل

دراسة عصر المؤلّف

ويشمل أربعة مباحث:

المبحث الأوّل: الحالة السّياسيّة.

المبحث الثّاني: الحالة الاجتماعيّة.

المبحث الثّالث: الحالة الثّقافيّة.

المبحث الرّابع: الحالة الدّينيّة.

المبحث الأوّل:

الحالة السّياسيّة[١]

نُشير في دراسة هذه الحالة إلى الظّروف التي عاشتها دولة ليبيا[٢] بصفة موجزة، باعتبارها الموطنَ الأصليّ للشّيخ ـ موطن آبائه وأجداده ـ؛ ثمّ نُفرد بالذّكر منطقة الحجاز[٣] باعتبار الشّيخ وأسرته نَزلوا بمكّة[٤]، لذلك لقِّبوا بنـزلاء مكّة.

فبالنّسبة لليبيا، نجد أنّ الضّعف الذي أصاب دول المغرب قد سرى

---

(١) انظر: التّاريخ الإسلامي، محمود شاكر (المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان؛ الطّبعة الثّالثة، سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م)، ج٨/ص٥١٧، ٥١٨.

(٢) **ليبيا**: دولة عربيّة في شمال إفريقيا، عاصمتها طرابلس الغرب. تعاقبت عليها شعوب عديدة، فتحها العرب، سنة ٦٤٢م، فأصبحت جزءاً من الإمبراطوريّة الإسلاميّة. ضمّها العثمانيّون إلى إمبراطوريتهم، سنة ١٥٥٦م. انظر: المنجد في الأعلام، لجماعة من الباحثين، (دار المشرق، بيروت، الطّبعة التّاسعة، ١٩٧٨م): ص٦١٩. الموسوعة العربيّة الميسّرة، جماعة من الباحثين، (دار الجيل، بيروت، القاهرة، تونس، ط٢، ٢٠٠١م): ٢١٢١/٤ إلى ٢١٢٣.

(٣) **الحجاز**: هو عبارة عن إقليم في المملكة العربيّة السّعوديّة، قاعدته مكّة، يتكوّن من سهول وجبال، من أهمّ مدنه: الحرمان أي مكّة، المدينة (يثرب)، الطّائف، تبوك شمالاً، تيماء، ينبع، جدّة. المنجد في الأعلام: ص٢٢٩، ٢٣٠.

(٤) **مكّة** : سيأتي التّعريف بها في قسم التّحقيق.

إليها. فقد احتلّ فرسان مالطة[١] مدينةَ برقة[٢]، كما احتلّ الإسبان طرابلس[٣]، عام ٩١٦هـ - بعد أن قَضَوا على الخلافة الإسلاميّة في الأندلس[٤] وغرناطة[٥] -؛ ولعلّ هذا هو سبب عدم عودة الأب محمّد بن محمّد الحطّاب إلى مكان مولده بطرابلس، لذلك ما بَرِح مكّة.

وقد مكث الإسبان في طرابلس أزيدَ من أربعين سنة، حتّى تمكّن القائد البحري العثماني طراغرل من دخولها عام ٩٥٨هـ. ومع ذلك فقد

---

(١) **مالطة** : جزيرة ودولة في المتوسّط، بين صقلّيّة وليبيا. استعمرها الفينيقيّون، وخضعت للنّفوذ اليوناني والقرطاجي والرّوماني. فتحها العرب من القيروان عام ٨٧٠م، واستولى عليها الصّليبيّون عام ١٠٩٠م. وفي عام ١٥٣٠م أعطيت لفرسان القدّيس يوحنّا. المنجد في الأعلام: ص٦٢٩. الموسوعة العربيّة الميسّرة: ٤/٢١٧٠.

(٢) **بَرقة** : بفتح أوّله والقاف، وتعني هذه الكلمة: الأرض ذات الحجارة المختلفة الألوان. هي المنطقة الشّرقيّة من جمهورية ليبيا العربيّة، فتحها عمرو بن العاص صلحاً عام ٦٤٢م. من مدنها بنغازي، طبرق، ودرنه. انظر: المنجد في الأعلام: ص١٢٦.

(٣) **طرابلس**: تسمّى طرابلس الغرب، وهي المنطقة العربيّة من جمهوريّة ليبيا. احتلّها القرطاجيّون، ثمّ الرّومان، استولى عليها الواندال، وضمّتها الإمبراطوريّة العربيّة إلى ممتلكاتها عام ٥٣٤م. فتحها العرب على يد عمرو بن العاص، عام ٦٤٣م، وانتقلت من أيدي الفاطميّين والموحّدين ثمّ الإسبان والإيطاليّين. المنجد في الأعلام: ص٤٣٥. وانظر الحديث عن طرابلس بأنواعها الثّلاث في معجم البلدان: ٤/٢٥، ٢٦. والموسوعة العربيّة الميسّرة: ٣/١٥٦٥.

(٤) **الأندلس**: اسم عُرف به جنوب إسبانيا بعد أن احتلّها الواندال، ثمّ أطلقه العرب على شبه جزيرة إيبيريا عامّة بعد أن دخلوها. استقلّت الأندلس عن العبّاسيّين، وكوّنت إمارة قرطبة عام ٧٥٢م. حكمها ملوك الطّوائف، ثمّ المرابطون، ثمّ الموحّدون، وسقطت من أيديهم في وقعة العقاب مع الإسبان عام ١٢١٢م. المنجد: ص٧٦. وانظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، (دار صادر بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٥هـ): ١/٢٦٢، ٢٦٤.

(٥) **غرناطة** : بفتح ثمّ طاء مهملة، وتعني رمّانة بلسان العجم، وهي مدينة إسبانيّة من أقدم مدن كورة ألبيرة الأندلس. احتلّها المرابطون، عام ١٠٩١م، ثمّ صارت في يد بني الأحمر حتّى سقوطها عام ١٤٩٢م؛ وهي آخر مدن الأندلس سقوطاً. انظر: معجم البلدان: ٤/١٩٥. المنجد في الأعلام: ص٥٠٥. وانظر: الموسوعة العربيّة الميسّرة: ٣/١٦٩١.

حاولت إسبانيا[١] إعادة احتلالها، لكن دون جدوى. ومن ذلك الزّمن صارت طرابلس خاضعةً للحكم العثماني، وتلك هي فترة حكم السّلطان سليمان الأوّل، الملقّب بالأكبر والقانوني[٢].

أمّا بالنّسبة لمنطقة الحجاز، فقبل الحديث عن حالتها السّياسيّة، ينبغي التّعريج على مركز الخلافة في تلك الفترة، فهذه الأخيرة تمثّل العصر الذّهبي للإمبراطوريّة العثمانيّة، التي كان مركز خلافتها بالقسطنطينيّة[٣].

فبحلول القرن السّادس عشر للميلاد، حلّ عصر الازدهار على العثمانيّين بمختلف أشكاله، خاصّة في الميدان الحربي والعسكري.

وفي تلك المرحلة ـ عصر المؤلّف ـ برز أربعة حكّام عثمانيّين:

ـ سليم الأوّل (ياوز بن بايزيد)[٤]: خلافته من ٩١٨هـ/١٥١٢م إلى ٩٢٦هـ/١٥٢٠م.

---

(١) **إسبانيا**: هي دولة في أوربا الغربيّة، دخلها العرب المسلمون فاتحين، عام ٧١١م؛ واستمرّت في أيديهم إلى ١٤٦٩م، وكانت عاصمتها في هذه الحقبة الأندلس. من مدنها: غرناطة، قرطبة، بلنسيّة، أشبيليا. المنجد في الأعلام: ص٣٩. وانظر: الموسوعة العربيّة الميسّرة: ١/١٨٧ إلى ١٨٨.

(٢) **سليمان القانوني**: يعرف بسليمان الأوّل، عاشر السّلاطين العثمانيّين وأعزّهم، دامت خلافته ٤٦سنة (١٥٢٠م/١٥٦٦م). لقّبه الأتراك بالقانوني، والإفرنج بالعظيم. قاد بنفسه ثلاث عشرة حملة في أوربا وآسيا. دوّن القوانين والشّرائع، وبلغت الإمبراطوريّة العثمانيّة في عهده أوجّها. ولد عام: ٩٠٠هـ ـ ١٤٩٥م، وكانت وفاته عام: ٩٧٤هـ ـ ١٥٦٦م. المنجد في الأعلام: ص٣٦٤. موسوعة السّياسة، لمجموعة من الباحثين، المحرّر: د. عبدالوهاب الكيّالي، (دار الفارس، عمّان، ط٢، ١٩٩٣م): ٣/٢٣٣ إلى ٢٣٤.

(٣) **القسطنطينيّة**: هي إمبراطوريّة رومانيّة عظمى، أسّسها الإغريق، وسمّاها الإمبراطور (قسطنطين) باسمه، عام ٣٣٠م. واستمرّت قاعدة الامبراطوريّة البيزنطيّة، إلى أن فتحها الأتراك العثمانيّون، عام ١٤٥٣م. انظر: معجم البلدان: ٤/٣٤٧، ٣٤٨. المنجد في الأعلام: ص٤٠. الموسوعة العربيّة الميسّرة: ٣/١٨٥٩.

(٤) **سليم الأوّل**: هو ياوز بن بايزيد، تاسع السّلاطين العثمانيّين، دامت خلافته ٨ سنين (١٥١٢م/١٥٢٠م). قضى على دولة المماليك في موقعة مرج دابق بالقرب من حلب سنة ١٥١٦م، وفتح سوريّة ومصر، فخضعت كلّ البلاد العربيّة للحكم العثماني. ولد عام ٨٧٥هـ ـ ١٤٦٧م، وكانت وفاته عام: ٩٢٦هـ ـ ١٥٢٠م. المنجد في الأعلام: ص٣٦٣، ٣٦٤. موسوعة السّياسة: ٣/٢٣٤.

ـ سليمان الأوّل (القانوني): خلافته من ٩٢٦هـ/١٥٢٠م إلى ٩٧٤هـ/١٥٦٦م.

ـ سليم الثّاني (ابن سليمان)[١]: خلافته من ٩٧٤هـ/١٥٦٦م إلى ٩٨٢هـ/١٥٧٤م.

ـ مراد الثّالث (ابن سليم)[٢]: خلافته من ٩٨٢هـ/١٥٧٤م إلى ١٠٠٣هـ/١٥٩٥م.

وأشرفُ عمل قام به السّلطان سليم الأوّل، هو فتح البلاد العربيّة؛ فما إن انتهت دولة المماليك، حتّى أُلحِقت سلطنتُهم والبلادُ العربيّة بالدّولة العثمانيّة؛ فأنهى الخلافة العبّاسيّة الصّوريّة، وفتح دمشق[٣] ومصر[٤] وبغداد[٥].

---

(١) **سليم الثّاني**: هو ابن سليمان القانوني، وهو السّلطان العثماني الحادي عشر، دامت خلافته ٨ سنين (١٥٦٦م/١٥٧٤م)، كانت له بعض الأوصاف الذّميمة، كمعاقرته للخمر. وعلى أيّامه جرت معركة ليبانت البحريّة، سنة ١٥١٧م، بعد احتلاله لقبرس. ولد عام ٩٣٠هـ ـ ١٥٣٥م، وكانت وفاته عام: ٩٨٢هـ ـ ١٥٧٤م. المنجد في الأعلام: ص٣٦٤. القانوني القائد، لبسّام العسلي، (دار النّفائس، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م): ص١٨١.

(٢) **مراد الثّالث**: هو سلطان عثماني، ابن سليم الثّاني، دامت خلافته ٢١ سنة (١٥٧٤م/١٥٩٥م). انتصر في خلافته على الفرس، سنة ١٥٦٧م، واحتلّ جيورجيا. مولده سنة ١٥٤٦م، وكانت وفاته سنة ١٥٩٥م. المنجد في الأعلام: ص٦٤٨، ٦٤٩. الموسوعة العربيّة الميسّرة: ٢٢٣٨/٤.

(٣) **دمشق**: بكسر الدّال وشين وقاف، سمّيت بذلك لأنّ أهلها دمشقوا في بنائها، أي أسرعوا. تعاقبت عليها حضارات عديدة. ثمّ فتحها العرب، سنة ٦٣٥م، واتّخذها الخلفاء الأمويّون عاصمة لهم، وتقهقرت مع العبّاسيّين ابتداءاً من القرن ٨م. خرّبها المغول؛ واحتلّها السّلطان سليم الأوّل، سنة ١٥١٦م. انظر: معجم البلدان: ٤٦٣/٢ إلى ٤٧٠. المنجد في الأعلام: ص٢٨٧، ٢٨٨. الموسوعة العربيّة الميسّرة: ١٠٩٩/٢، ١١٠٠.

(٤) **مصر**: سيأتي التّعريف بها في قسم التّحقيق.

(٥) **بغداد**: هي مدينة شيّدها المنصور الخليفة العبّاسي، عام ٧٦٢م، ودعاها (مدينة السّلام)، وجعلها عاصمته. ازدهرت ازدهاراً عظيماً بين ٧٥٤م/ ٨٣٣م، وأخذت بالانحطاط بعد أن نقل المعتصم الخلافة إلى سامرّاء. دمّرها هولاكو ١٢٥٨م، وتيمورلنك ١٤٠٠م، ثمّ الأتراك ١٦٣٨م. المنجد في الأعلام: ص١٣٧. الموسوعة العربيّة الميسّرة: ٥٣٣/١.

وبحلول حكم السّلطان سليمان الأكبر، كانت الدّولة العثمانيّة إحدى الدّول العظمى، تمتدّ من حدود اليمن[١] والحرميْن الشّريفين حتّى أقصى البَلقان[٢]؛ وقد قضت الدّولة في ظلّ حكمه عصرَها الذّهبيّ، لأكثر من نصف قرن[٣].

وبِوصول النّفوذ العثمانيّ إلى منطقة الحجاز، ظهر رجلان تولّيا شَرافة مكّة، هما: بركات الثّاني بن محمّد[٤]، ومحمّد أبو نمى[٥].

ففي سنة: **٩٢٣**هـ، كان شريف مكّة، وصاحب النّفوذ فيها: بركات الثّاني بن محمّد، ويَحكُم للمرّة الثّانية؛ إذ حَكم في المدّة الأولى بعد أبيه عام: **٩٠٣** هـ، ولمدّة أربع سنوات، حيث نازعه أخوه، فتسلّم الشّرافة عاماً واحداً، ثمّ رجع بركات الثّاني عام: **٩٠٨**هـ، واستمرّ حتّى عام: **٩٣١**هـ.

وفي عهده انتصر السّلطان سليم الثّاني على المماليك في الشّام[٦]

---

(١) **اليمن**: هي مدينة عريقة في القدم، كانت تتألّف من أربع دويلات: سبأ، معين، قطبان، وحضرموت. فتحها المسلمون عام ٦٣٠م، ٦٣١م، وتعاقب على حكمها سلالات عديدة. احتلّها العثمانيّون من سنة ١٥٧٠م إلى ١٦٣٥م. انظر: المنجد في الأعلام: ص٧٥٢. الموسوعة العربيّة الميسّرة: ٤/٢٦٥٠، ٢٦٥١.

(٢) **البلقان**: منطقة جبليّة في جنوب أوربا. من أهمّ دولها رومانيا، ألبانيا، بولغاريا، اليونان، يوغسلافيا، وتركيا الأوربيّة. خضعت للسّيطرة التّركيّة في نهاية القرن الرّابع عشر. المنجد في الأعلام: ص١٤١.

(٣) انظر موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، شاكر مصطفى (دار العلم للملايين، بيروت، لبنان؛ الطّبعة الأولى، سنة ١٩٩٣م)، ج٣/ص١٥٧٣ إلى ١٥٨٠ (الدّولة العثمانيّة).

(٤) **بركات الثّاني**: هو حفيد بركات بن الحسن بن عجلان. شارك أباه محمّد في السّلطة، ثمّ استقلّ بالحكم سنة ١٥٠٤م. قبض عليه الأتراك، وحملوه إلى مصر، ثمّ عاد وحكم حتّى وفاته. ولد سنة ١٤٥٤م، وتوفّي سنة ١٥٢٥م. المنجد في الأعلام: ص١٢٦.

(٥) **محمّد أبو نمى**: هو محمّد بن بركات الثّاني.

(٦) **الشّام**: يراد بها سابقاً سوريا على العموم. كانت تقسم إلى سبعة أجناد على أيّام العرب: فلسطين والأردن وحمص ودمشق وقنّسرين والعواصم والثّغور. من مدنها: حماة، حمص، دمشق السّاحل، عكا، صور، عسقلان. معجم البلدان: ٥/٣١٢ إلى ٣١٥. المنجد في الأعلام: ص٣٨٢.

ومصر، وقضى على سلطانهم، وبُويع بالخلافة بعد أن تنازل له الخليفة العبّاسي المقيمُ في القاهرة[١]، وقد كان قبل ذلك كلُّ شيءٍ بيد السّلاطين المماليك.

عندها أَرسَل بركات الثّاني ابنَه محمّداً إلى القاهرة، فأعلن للسّلطان سليم الطّاعة، وسلّم له مفاتيح الحرمين الشّريفَين دِلالةً على الخضوع؛ فرضيَ السّلطان تسليم ذلك منه، وأقرّ أباه على شرافة مكّة.

ولمّا توفّي بركات الثّاني عام: ٩٣١هـ، تسلّم مكانَه ابنُه: محمّد أبو نمى، وبقيَ في أمر الشّرافة[٢].

(١) **القاهرة** : هي مدينة بجنب الفسطاط، يجمعها سور واحد. أسّسها جوهر الصّقلّي، القائد الفاطمي شمالي الفسطاط، عام ٩٦٩م. زيّنها الفاطميّون بالمباني الفخمة من قلاع وجوامع ومدارس ومقامات. تابع تجميلها فيما بعد محمّد عليّ، وخلفاؤه، وخطّطوا أحياءها الجديدة. انظر: المنجد في الأعلام: ص٥٤٣. الموسوعة العربيّة الميسّرة: ١٨٤١/٣، ١٨٤٢.

(٢) انظر: التّاريخ الإسلامي، محمود شاكر، ٨ /٢٤٠، ٢٤١.

المبحث الثّاني:

الحالة الاجتماعيّة

إنّ المجتمع العثمانيّ لم يكن متجانساً، ولكنّه كان مجتمعاً خليطاً من عدّة أمم، وعدّة أديان ولغات وثقافاتٍ، وقد جمعته الفتوحات العثمانيّة في ظلّ إمبراطوريّة واحدة.

فإلى جانب المسلمين، نجد المسيحيّين الأرثوذكس في البَلقان، ونسبةً منهم أقلَّ بكثير في الشّام والعراق[١]، وفي مصر من الأقباط؛ كما حوى ـ المجتمع العثمانيّ ـ جاليةً يهوديّة موزّعةً في بعض المدن التّجاريّة.

وفي أَوَجِّ قوّة السّلطان سليمان القانوني، حافظ العثمانيّون على موقفهم المتسامح مع الملل المختلفة داخل الإمبراطوريّة، وقد لجأ اليهودُ إليهم هرباً من الاضطهاد المسيحيّ في إسبانيا خاصّة، فتقبّلوهم[٢].

فغيرُ المسلمين قد تمتّعوا ـ رغم بعض القيود ـ بحرّيّتهم الدّينيّة والمدنيّة كاملة، وخَدم بعضهم الدّولةَ خدماتٍ كثيرة؛ كما فُتحت لهم

---

(١) **العراق**: كان مقرّاً للحضارات المختلفة، منها السّومريّة والبابليّة. فتحه العرب، عام ٦٣٤م، فعرف بالعراق العربي. أصبحت بغداد عاصمة الخلافة العبّاسيّة. استولى عليه المغول بعد نكبة بغداد، سنة ١٢٥٨م؛ ثمّ العثمانيّون، سنة ١٦٥٨م. المنجد في الأعلام: ص٤٥٩.

(٢) انظر: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، ١٥٨١/٣ إلى ١٥٨٥ .

المناصب إلى البروز الاجتماعي والمالي والاقتصادي، وإلى بعض فروع العلم.

ومن النّاحية العرقيّة، فكانت نسبة الأتراك في الدّولة العثمانيّة محدودة، وإن كان لهم الحُكم، والكتلةُ العربيّة المسلمة هي الكبرى.

وبالرّغم من كون الكتلة التّركيّة هي الحاكمة، فلم يظهر منها تعصّبٌ عرقيّ، بل كان الأمر على عكس ذلك، إذ أحبّوا كلّ عنصر ضمن إمبراطوريّتهم، لا فرق بينهم وبينه.

وعلى أيّ حال فقد كانت السّياسة القائمة على التّعايش والهدوء والاستقرار والمحافظة على الوضع القائم، هي المتّبعة في إدارة هذه الأخلاط البشريّة ضمن الإطار العثمانيّ.

وكان المجتمع العثمانيّ مقسّماً إلى طبقاتٍ، ولكنّها غيرُ مغلَقةٍ إلاّ في التّقاليد؛ فثمّةَ طبقةُ رجال الدّولة الكبار ـ وهم عسكريّون (باشاوات) في الغالب ـ، وطبقة رجال الدّين (العلماء)، وطبقة الأشراف (آل النّبيّ)، وطبقة المتصوّفة ومشايخ الطّرق، وطبقة الحرفيّين والتّجّار، وطبقة الفلاّحين، وطبقة أبناء المِلَل (المسلمون واليهود)؛ ولكلّ فئة تفرّعاتُها في داخلها، ولكلّ طبقة امتيازاتُها.

كما أنّ انتقال فرد من طبقة إلى طبقةٍ، يُعتَبَر مستهجَناً عند المجتمع العثمانيّ؛ ولذلك نجد الغالب عليهم التزامَ كلِّ أهلِ طبقةٍ بطبقته[1].

ففي ظلّ هذا الانصهار العثمانيّ، عاش سكّان الحجاز (مكّة والمدينة)؛ فنجدهم على اختلاف مناطقهم التي نزحوا منها، مثل: طرابلس، القاهرة، مكناس[2]، دمشق، .....

---

(١) انظر موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها: ١٥٨٦/٣.

(٢) **مكناس**: بكسر الميم، وسين مهملة. مدينة بالمغرب في بلاد البربر، تأسّست في القرن التّاسع، وازدهرت في عهد السّلطان مولاي إسماعيل، الذي عاصر لويس الرّابع عشر. انظر: معجم البلدان: ١٨١/٥. والمنجد في الأعلام: ص٦٨٢. الموسوعة العربيّة الميسّرة: ٢٣٢٤/٤.

الهند[١]، السّند[٢]، حضرموت[٣]؛ قد تأقلموا مع سكّان الحجاز الأصليّين، باعتبار الجامعِ المشترَك لهم هو الدّين الإسلامي.

وعلى اختلاف مذاهبهم الدّينيّة الإسلاميّة، فلم يؤثِّر ذلك في تماسكِهم الاجتماعي، بل أثّر في بعض الوظائف المخوَّلة لهم لا غير.

وكان لهذه البيئة الاجتماعيّة أثر في حياة الشّيخ يحيى الحطّاب، فساعدته تلك البيئة على أن يكون فقيهاً مالكيًّا، ويبرز فيه؛ لعدم وجود التّعصّب المذهبي خاصّة في ذلك المكان الذي كان فيه، إلاّ إذا كان المنصب المراد تولّيه منصباً عالياً في الدّولة التّركيّة.

وتمسّك الشّيخ بالمذهب المالكي كان على خلاف البيئة التي كان يعيش فيها؛ لأنّ الأتراك كانوا لا يولّون المناصب العليا كقاضي القضاة إلاّ من كان فقيهاً حنفيًّا، وهذا في أغلب الأحوال. فقد يكون الطّريق الذي نهجه والده، ومن قبلُ جدّه، قد مهّد له الطّريق في إكمال المشوار على وفق نهجهم ذلك، أي تبنيًّا للمذهب المالكي؛ أو يكون قد امتنع عن الخروج من المذهب إلى غيره زهداً في المناصب.

ولمّا كانت أسرته أسرة علم ودين، التزم بطبقته هذه، وهي طبقة رجال الدّين؛ سيراً على العرف الاجتماعي السّائد عندهم، وهو استهجان انتقال الفرد من طبقة إلى أخرى.

---

(١) **الهند**: تعدّ من أقدم الحضارات، احتلّت أجزاء منها قبل الميلاد، وتعاقب على احتلالها بعد الميلاد شعوب عديدة. أسّس المسلمون في أنحائها دولاً مستقلّة، منها: البنجاب، البنغال، دلهي، والدّكن. كما أسّس المغول إمبراطوريّة شملت الهند بأسرها. المنجد في الأعلام: ص٧٣١. الموسوعة العربيّة الميسّرة: ٢٥٤٨/٤.

(٢) **السّند**: هي مقاطعة في جنوب باكستان، فتحها محمّد بن قاسم الثّقفي، عام ٧١٢م، وبها مساجد تجمع بين الطّراز الهندي والإسلامي. انظر: معجم البلدان: ٢٦٧/٣. والمنجد في الأعلام: ص٣٦٧.

(٣) **حضرموت**: اسمان مركّبان، وهي ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر الأحمر؛ وتمثّل الجزء الشّرقي من جمهوريّة اليمن. انظر: المنجد في الأعلام: ص٢٣٨. الموسوعة العربيّة الميسّرة: ١٠٠٦/٢.

المبحث الثّالث:

الحالة الثّقافيّة

إنّ حياة الأمن والاستقرار التي ظهرت في الحالة الاجتماعيّة، وانصهار كثير من الأمم تحت القيادة التّركيّة، جعلت الحالة الثّقافيّة تتميّز بطابع خاصّ لها، من حيث ظهور بعض الثّقافات الدّخيلة على الحياة الإسلاميّة، أو الخروج عمّا عهده المسلمون في الحقبة الأخيرة من الحضارة العبّاسيّة. وعليه نميّز هذه الحالة من نواحٍ عدّة:

اللّغة: بالرّغم من انتشار اللّسان التّركيّ في الإدارة والحكم، بوصفه لغةَ الحكّام؛ فقد كان اللّسان العربيّ محتَرماً، ولاسيما في أراضيه؛ وكانت اللّغة العربيّة هي لغةُ الدّين والتّأليف فيه.

التّعليم وعلومُه: في الوقت نفسِه حافظ التّعليم على تقاليدِه الموروثة في البلاد العثمانيّة، فظلّت الكتاتيب هي المدارس الابتدائية التي تُعلّم الصّغار القرآن الكريم، ومبادئ الدّين، والكتابة، والقراءة، والحساب؛ وظلّت حلقات الجوامع والمدارس الإسلاميّة التّقليديّة هي مراكز تخريج المعلّمين.

وعلومُ ذاك الوقت، هي نفسُها علوم الحِقَب السّابقة. فإلى جانب الدّين والفقه واللّغة، نجد حفظ المتون والشّروح الفقهيّة والنّحويّة واللّغويّة، وبعض الأدب ـ أي العلوم النّقليّة ـ، وقد يمتدّ بعضُها إلى العلوم العقليّة وخاصّة المنطق.

وقد نُظِّمت المدارس الكبرى في عهد السّلطان سليمان في اثنتي عشرة درجة، يُلزم الطّالب بأخذ الإجازة في كلّ درجة، ليتخرّج في النّهاية متعلّماً[١].

كما اهتمّ السّلاطين العثمانيّون ـ خاصّة السّلطان سليمان ـ بإنشاء أماكن التّعليم، فقد أُنشئ بأمر السّلطان في استانبول والقاهرة والحجاز ودمشق وغيرها: (٥١) جامعاً كبيراً و(٥٢) مسجداً، (٥٥) مدرسة، (٧) دور للقرآن، (٧) كتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم، وغيرُ ذلك كثير[٢].

والحاصل من هذه النّاحية أنّه وإن ظهر اهتمامٌ بالعلم وأهلِه، إلاّ أنّه تميّز بعصر الجمع والتّقليد والتّركيب، أي عصر المحافظة على التّراث؛ وكان الإنتاج الفكري فيه يسيرُ على الأنماط التّقليديّة مع التّوسّع والمبالغة فيها.

(١) انظر: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها: ١٥٨٦/٣.

(٢) المرجع السّابق: ١٥٩٢/٣.

المبحث الرّابع:

الحالة الدّينيّة

لقد كانت علوم الإسلام عامّة والفقه خاصّة في العهد العثمانيّ، في مرحلة الشّيخوخة والهرم المقرّب من العدم. فبالرّغم من وصول الدّولة العثمانيّة إلى إمبراطوريّة عظمى، إلاّ أنّ ذلك لم يؤثّر على الفقه بالتّقدّم، بل بالتّأخّر(١).

كما شهدت هذه الفترة انصراف بعض رجال الدّين، لا إلى علمهم الغزير، ولكن إلى قِواهم الغيبيّة الخارقة، وقصصهم التّنبُّؤيّة؛ وتكاثَر الأقطاب والعارفون بالله والأمّيّون، وتكاثرت بالمقابل الأربطة والزّوايا، وضاعت حدود التّمييز بينها وبين المساجد؛ وغدت للعبادة ألوان أخرى غيرَ الصّلاة، يَدخل فيها الموسيقى والرّقص والتّأمّل وضربُ الطّبول. فحياة الجماهير الدّينيّة قد خضعت لتأثير مشايخ الطّرق الصّوفيّة المنتشرة انتشاراً واسعاً في آسيا الصّغرى(٢).

---

(١) انظر: الفكر السّامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمّد بن الحسن الحجوي (اعتناء: أحمد صالح شعبان، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان؛ الطّبعة الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م): ٤/١٩٣.

(٢) انظر: تاريخ الشّعوب الإسلاميّة، كارل بروكلمان (تعريب: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكّي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان؛ الطّبعة ١٢، مارس ١٩٩٣م): ص٤٨٢.

وبهذا الشّكل اتّجهت الحياة الدّينيّة إلى الرّكود والتّمادي، وغلب على النّاس الاجترارُ والتّكرار، وانصرفت القرائح إلى التّهميش والتّعليق والتّفسير والاختصار والحواشي، في حين تقلّصت وذَبُلت قوّة الخلق والإبداع حتّى الموت[١].

ومن أسباب هذا الرّكود الفقهي والدّيني، كما قرّره علماء تاريخ الفقه الإسلامي، نجد:

١ ـ قصور الهِمَم عن الاجتهاد، والاقتصارُ على التّرجيح في المذهب، والاشتغال بالهوامش، ودراسة المختصرات.

٢ ـ العواصم التي كانت مهد الفقه قد دُمِّرت عن آخرها، وصارت ثانويّة، وأُغرق وأُحرق ما فيها من كتب.

وانتقال الخلافة الإسلاميّة إلى الأتراك كان عائقاً لازدهار الفقه الإسلامي؛ لأنّ لسان الدّولة تركيّ، والفقه الإسلامي تابع للعربيّة تقدّماً وتأخّراً.

٣ ـ انقطاع الرّحلات في طلب العلم، والاكتفاء بما هو موجود، وجعْلُ التّفقّه بالمطالعة المجرّدة.

٤ ـ كثرةُ التّآليف وتنوّعُها في علوم شتّى، أدّى إلى الاضطراب في الأَفهام، ومن ثمّ القصور في التّحصيل[٢].

غير أنّ هناك سبَباً رئيساً يمكن أن نبرزَه عند الحديث عن المذهب السّائد في تلك الفترة، وارتباطه بهيئة القضاء.

لقد خضعت الهيئات القضائيّة والدّينيّة كلُّها، بعد سليم الأوّل، وخاصّة

---

(١) انظر: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها: ٣/١٦٥١، ١٦٥٢.

(٢) انظر: الفكر السّامي: ٤/١٩٤، ١٩٥. وتاريخ الفقه الإسلامي، محمّد علي السّايس (دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان؛ الطّبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م): ص١٣٤ إلى ١٣٩.

في عهد سليمان الأكبر إلى سلطة مفتي استانبول (شيخ الإسلام)؛ كما كان تثبيتُ الموظّفين الدّينيّين في العاصمة في مناصبهم منوطاً بالمفتي أيضاً، وقد كان ترشيح الموظّفين لهذه المناصب الدّينيّة يُترك عادة لمنشىء المساجد[١].

وأَجبَر السّلطان النّاس على تبنّي المذهب الحنفي، كما جاء في كتاب (المنح الرّحمانيّة) عند الحديث عن السّلطان سليمان القانوني: (وأيّدَ الدّين الحنفيّ بسيفه الباتر، وأقام الملّة الحنفيّة، وأحيا ما بها من مآثر، وكان مجدِّد دين هذه الأمّة المحمّديّة في هذا القرن العاشر)[٢]. معنى هذا أنّ السّلطان قد أقام المذهب الحنفيّ بالقوّة وحدّ السّيف.

فما إن جُعل مركز مشيخة الإسلام في القسطنطينية، حتى تمذهب الناس بمذهب أبي حنيفة[٣] مقلِّدين، وكان القضاة والمفتون يتمذهبون به، فنال انتشاراً عظيماً[٤].

حتّى أنّنا نجد بعض الفقهاء قد ترك مذهبه إلى المذهب الحنفي، بُغية تولّي منصب قاضي القضاة. فهذا ابن الفرفور[٥] لمّا ولاّه السّلطان سليم سنة: **٩٢٧**هـ منصب قاضي القضاة، تحنّف بعد أن كان شافعيّاً، كما أبطل

---

(١) انظر: تاريخ الشّعوب الإسلاميّة، بروكلمان: ص٤٨٢.

(٢) المنح الرّحمانيّة في الدّولة العثمانيّة، محمّد بن أبي السّرور البكري (تحقيق الدّكتورة: ليلى الصّبّاغ، دار البشائر، دمشق؛ الطّبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م): ص١٠٤، ١٠٥.

(٣) **أبو حنيفة**، هو أبو حنيفة النّعمان بن ثابت بن زوطى. أخذ الفقه عن حمّاد بن أبي سليمان، وسمع عطاء بن أبي رباح وغيره. أقام ببغداد حتّى مات. كان خزّازاً يبيع الخزّ، وقد أراده أبو هبيرة على القضاء، فامتنع، فضربه مائة سوط وعشرة. يعتبر فقيهاً ضليعاً، من أحد الأئمّة الذين يُنسب إليهم المذهب. من تلاميذه الإمام مالك، ومن تصانيفه كتاب بعنوان الفقه الأكبر. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن عماد الحنبلي، (دار الكتب العلميّة مع دار الفكر، بيروت، لبنان؛ الطّبعة الأولى، **١٣٩٩**هـ ـ **١٩٧٩**م)، **١/٢٢٧**، **٢٢٩**. والمنجد في الأعلام، ص١٤.

(٤) انظر: الفكر السّامي: **٤/١٩٥**.

(٥) **ابن الفرفور**، هو عبدالرّحمٰن بن محمّد بن أحمد، زين الدّين؛ قاضي شافعي. ولد بدمشق، وتوفّي بها سنة **٩٩١**هـ ـ **١٥٨٣**م من قضاة الحنفيّة في عهد الخلافة التّركيّة، ولاّه السّلطان سليم ذلك المنصب، بعد أن صار حنفيّاً. انظر: شذرات الذّهب، ٨ بعض الأحداث سنة **٩٢٧**هـ.

السّلطان سليم القضاةَ الأربعة إلاّ ابن الفرفور.

ولكن هذا لا يَمنع من وجود منصب قاضي القضاة بالنّسبة للمذاهب الأخرى، فنجد من القضاة وقتئذ:

ـ قاضي القضاة محبّ الدّين محمّد بن ظهيرة الشّافعي[١] (ت٩٤٠هـ)، تولّى قضاء مكّة.

ـ كمال الدّين أبو اللّطف محمّد بن يوسف الرّبعي الشّافعي[٢] (ت٩٥٦هـ)، وليَ قضاء الشّافعيّة بمكّة وسائر أعمالها.

ـ أقضى القضاة محيي الدّين عبدالقادر بن أحمد الفريابي، المدني، المالكي[٣]؛ ناب عن أبيه في قضاء المدينة المنوّرة[٤].

فإذا كان المذهب المالكي قد انحصر في حقبة زمنيّة معيّنة في المغرب والأندلس، والفقه الشّافعي انحصر في مصر؛ فإنّ الفقه الحنفي انحصر في بغداد وسرى ذلك أثناء الخلافة التّركيّة إلى مصر ومكّة والمدينة. ولضمان استمرار المذهب الفقهي الحنفي المتبنّى، فيُشترط في القاضي أن يكون حنفيًّا في أغلب الأحوال، خاصّة في موقع الخلافة ـ القسطنطينيّة ـ.

وليس الغرض من هذا عرضُ القضاء في ذلك العصر، بل بيانُ كيف انحصر القضاء بشرط التّمذهب بالمذهب الحنفي، ومن ثمّ حصْرُ الفقه الإسلامي في مذهبٍ واحد، وهذا يجرّ إلى رضا أصحاب الفكر والقرائح باحتضان الموجود، دون البحث عن آفاق جديدة.

---

(١) **محمّد بن ظهيرة** : محبّ الدّين، فقيه شافعي، سكن مكّة وتولّى قضاءها، وكان عنده أعلى منصب فيها. توفّي سنة: ٩٤٠هـ. انظر: الشّذرات: ٨/ بعض الأحداث سنة ٩٤٠هـ.

(٢) **محمّد بن يوسف**: أبو اللّطف، كمال الدّين، الرّبعي. فقيه شافعي، تولّى قضاء مكّة، توفّي سنة: ٩٥٦هـ. انظر: الشّذرات: ج٨ / (بعض الأحداث من سنة: ٩٥٦هـ).

(٣) **عبدالقادر بن أحمد**: محيي الدّين، الفريابي، المالكي، سكن المدينة المنوّرة، وولي قضاءها. انظر: الشّذرات: ج٨ / (بعض الأحداث من سنة: ٩٥٠هـ).

(٤) شذرات الذّهب: ج٨ / (بعض الأحداث من سنة: ٩٢٦هـ إلى ٩٩٥هـ).

لهذا السّبب نجد انعزالَ آل الحطّاب في مكّة، وعدم تولّيهم منصب القضاء، رغم أنّهم كانوا مبرَّزين في العلم خاصّةً الأبَ والجدّ، وتمسّكوا بمذهبهم الفقهيّ، وهو مذهب الإمام مالك ـ رحمه الله ـ. فقد يكون تمسّكهم بالمذهب المخالف لمذهب الدّولة آنذاك جعلهم يُحرَمون من تولّي منصب القضاء.

الفصل الثّاني
دراسة حياة المؤلّف

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل:

- **أوّلاً:** اسمه، ونسبه.
- **ثانياً:** مولده.
- **ثالثاً:** نشأته، وطلبه للعلم.

المبحث الثّاني:

- **أوّلاً:** شيوخه.
- **ثانياً:** تلاميذه.

المبحث الثّالث:

- **أوّلاً:** مكانته العلميّة.
- **ثانياً:** مصنّفاته.
- **ثالثاً:** وفاته.

المبحث الأوّل:

اسمه، نسبه، مولده، نشأته وطلبه للعلم[1]

أوّلاً: اسمه، ونسبه:

هو يحيى بن محمّد بن محمّد بن عبدالرّحمٰن الحطّاب، الرّعيني

---

(١) انظر ترجمته في:
كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدّيباج، أحمد بابا التّنبكتي، (النّاسخ: الحاج الباهي الفنابي، مخطوط بالمكتبة الوطنيّة الجزائريّة برقم: ١ْ / ١٧٣٨): لوحة ١٤١ظ.
نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، أحمد بابا التّنبكتي، (المطبعة الجديدة بفاس، طبعة حجريّة، سنة: ١٠٠٧هـ): ص٣٩٤.
شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة، محمّد بن محمّد مخلوف، رقم التّرجمة: ١٠٥٠: ج١/ص٢٧٩.
الفكر السّامي، الحجوي، رقم التّرجمة: ٧١٥: ج٢/ص٣٢١.
الأعلام (قاموس تراجم..)، خير الدّين الزّركلي، (دار العلم للملايين، بيروت، لبنان؛ الطّبعة العاشرة، ١٩٩٢م): ١٦٩/٨.
معجم المؤلّفين، عمر رضا كحّالة: ٢٢٦/١٣، ٢٢٧.
كشّاف معجم المؤلّفين، الدّكتور: فرّاج عطا سالم، (مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرّياض؛ الطّبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، رقم التّرجمة: ١٨٥١٢: ج٤/ص٢٣٦٠.
فهرس المكتبة الأزهريّة، (مطبعة الأزهر، الطّبعة الثّانية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م): ٣٠٥/٢.
المنجد في اللّغة والأعلام، (حرف الحاء من قسم الأعلام): ص٢٣٩.

الأصل، الطّرابلسي، المكّي، المالكي.

كُنيتُه أبو زكريّا[١]؛ كما جاء في شجرة النّور، وفهرس محمّد بن شنب؛ وورد في بعض الفهارس ذكر لقبه، وهو: شرف الدّين[٢]؛ أمّا باقي كتب الفهارس والتّراجم فلم تَذكر له كُنيةً ولا لقباً.

الحطّاب: لقبٌ له، وهو فرع يُعرف بذوي حطّابٍ، من آل موسى من بلحارث[٣].

وبَنُو الحطّاب بحاء مهملة، أهلُ بيتٍ شهيرٍ بمكّةَ المشرّفة، وأهلُ عبادةٍ وزهادة ومعارفَ وصلاحٍ؛ رحمهم الله تعالى.

وقد وَرَد في بعض الفهارس: الخطّابُ بحرف الخاء؛ وهذا خطأ، والصّواب الحطّاب بحرف الحاء[٤].

---

(١) شجرة النّور، ٢٧٩/١. وفهرس المخطوطات العربيّة بالجامع الكبير بالجزائر، محمّد بن شنب، (الجزائر، ١٩٠٩م): ص ٥٩.

(٢) الفهارس التي ذَكَرت له هذه الكُنية، هي:
فهرس المخطوطات العربيّة المصوّرة، (منشورات الجامعة الأردنيّة، عمان؛ الطّبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م)، ٦٢/٢.
فهرس الكتب العربيّة الموجودة بدار الكتب المصريّة لغاية سنة: ١٩٢١م، (مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، ١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٤م): ١/ ٤٨٣.
فهرس مخطوطات دار الكتب الظّاهريّة، علم الهيئة وملحقاته، إبراهيم خوري، (مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م): ص٢٤٨.
فهرس المخطوطات العربيّة في الرّياضيات (١)، عدنان جواد الطّعمة، (مخطوطات برلين، جمهوريّة ألمانيا الاتحادية، ماربورغ؛ الطّبعة الأولى، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م): ص٥٤، ٥٥.

(٣) معجم القبائل العربيّة القديمة والحديثة، عمر رضا كحّالة، (دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م): ٢٨٤/١.

(٤) انظر ورود الخطأ في:
المنتخب من مقتنيات معهد المخطوطات في باكو بأذربيجان، عبدالرّحمٰن فرفور ومحمّد مطيع الحافظ، (الإمارات العربيّة المتّحدة، دُبي؛ الطّبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م): ص٨٨.
فهرس المخطوطات المصوّرة ـ العلوم ـ لجامعة الدّول العربيّة، باول كُونتش، (مطبعة السّنّة المحمّديّة، القاهرة، أفريل، ١٩٥٨م): ٥٦/٣.

الرُّعيني: نسبة إلى رُعَين، بطن من حِمْيَر، من القحطانيّة، يُعرَف بذي رُعين[١].

الطّرابلسي: نسبة إلى طرابلس الغرب؛ لأنّ جدّه محمّد الحطّاب من المغرب[٢].

المكّي: نسبة إلى مكّة المكرّمة؛ لأنّ مولده ونشأته ووفاته بها.

المالكي: نسبة إلى مذهبه الفقهي، وهو مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى.

ثانياً: مولده:

وُلد بمكّة في أواسط النّصف الأوّل من القرن العاشر للهجرة، الموافق لبدايات النّصف الأوّل من القرن السّادس عشر للميلاد.

فكُتُب التّراجم المعتمدة في المذهب، مثل: نيل الابتهاج، كفاية المحتاج، الفكر السّامي، وشجرة النّور؛ لم تذكر تاريخ مولده، ممّا يدلّ على أنّه غيرُ معلومٍ.

أمّا المراجع الأخرى التي ترجمت له، والفهارس التي ذكرت مؤلّفاته، فإنّها ذكرت أنّ ميلاده سنة: ٩٠٢هـ/١٤٩٦م أو ١٤٩٧م[٣]؛ وهذا وَهْم منهم، لاشتباه الأمر عندهم بين الحطّاب الأب، والحطّاب الابن.

والتّحقيق أنّ هذه السّنة هي تاريخ ميلاد الوالد كما سيأتي في ترجمته.

---

(١) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: ٤٣٨/٢.

(٢) ذُكرت له هذه النّسبة في كثير من الفهارس، منها: فهرس المكتبة الأزهريّة: ٣٠٥/٢.

(٣) من المراجع التي ذكرت مولده في تلك السّنة: معجم المؤلّفين، ١٣ /٢٢٦، ٢٢٧. الأعلام: ٨ /١٦٩. كشّاف معجم المؤلّفين: ٢٣٦٠/٤. كذلك جلّ الفهارس التي ذكرت مصنّفات الشّيخ، ذكرت تاريخ مولده هذا.

ثالثاً: نشأته وطلبه للعلم:

نشأ الشّيخ في بيئة علم وصلاح، إذ كان أبوه محمّد بن محمّد فقيهاً، إماماً، علاّمة، متقِنا لكثير من العلوم؛ كما كان جدُّه[1] إماماً، عمدة، عالماً، مشهوراً؛ وكذلك عمُّه بركات كان من جملة الفقهاء. فهذه البيئة سمحت للشّيخ أن ينشأ على علم وصلاحٍ، وأن يتربّى في أحضان مشايخه.

والجديرُ بالذّكر أنّ الذين ترجموا له، لم يذكروا عن نشأته ولو نزراً، كما لم يتعرّضوا إلى تنقّلاته ورحلاته في طلب العلم، ولم يثبت عن أبيه رحلة إلى مكان ما لأجل طلب علم أو رزق. فهل انتقل الشّيخ يحيى من مكّة، أم بقي فيها إلى أن مات؟ كلُّ ما في ذلك أنّ المترجمين يذكرون أنّه وُلد، وتوفّي بمكّة؛ فكانت نشأته غامضة، لهذا السّبب جعل بعض المترجمين يخلط في تاريخ ميلاده بينه وبين والده، كما أخلطوا في بعض الكتب التي ألّفها، ونسبوها لأبيه.

(١) جدّه هو: محمّد بن عبدالرّحمٰن بن حسن (أبو عبدالله)، الرّعيني، الأندلسي الأصل، الطّرابلسي المولد، ثمّ المكيّ النّزول والجوار، المالكي؛ عُرف بمكّة كسلفه هناك بالحطّاب. ولد سنة: ٨٦١هـ، بطرابلس، وتفقّه على محمّد الفاسي، وعلى أخيه محمّد الحطّاب؛ ثمّ تحوّل مع أبويه وإخوته إلى مكّة، فحجّوا ثمّ رجعوا إلى القاهرة، ثمّ عاد منها مع أخيه بعد موت أبويهما إلى مكّة فحجّا، وعاد الأخ بعدها إلى بلده، أمّا هو فقد جاور مكّة. كان له ثلاثة من الأولاد هم الجمال محمّد، وزيني بركات، والشّهاب أحمد. مات بمكّة سنة: ٩٥١هـ، وله من العمر تسعون سنة. انظر: الضّوء اللاّمع، للسّخاوي، (دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان)، رقم التّرجمة (٧٤٢): ٢٨٨/٧. كفاية المحتاج: ١٢٩ظ. نيل الابتهاج: ص٣٦٣، ٣٦٤. توشيح الدّيباج وحلية الابتهاج، لبدر الدّين القرافي، تحقيق: أحمد الشتيوي، (دار الغرب الإسلامي، تونس، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م)، رقم التّرجمة (٢٠١): ص٢٠٧. شذرات الذّهب: ٢٨٥/٨، ٢٨٦. شجرة النّور، رقم التّرجمة (٩٩٧): ٢٦٩/١.

المبحث الثّاني:
شيوخه، وتلاميذه

أوّلاً: شيوخه:

ذكر صاحب شجرة النّور أنّه أخذ العلم عن والده، وعمّه بركات، وغيرهما؛ أمّا باقي كتب التّراجم فلم تذكر شيئاً عن شيوخه.

وهذه ترجمة للشّيخين:

أ ـ محمّد بن محمّد الحطّاب[1]:

هو محمّد بن محمّد بن عبدالرّحمٰن الحطّاب، الرُّعَيْني، المغربي الأصل. وُلد ليلة الأحد، ثامن عشر رمضان، سنة: ٩٠٢هـ/١٤٩٧م.

كان إماماً، علّامةً، محقِّقاً، ثقةً، نظّاراً، جامعاً لسائر الفنون، آخر أئمّة المالكيّة بالحجاز.

له تآليف بارعة، تدلّ على إمامته وفضله، استدرك فيها على فحول

---

(١) انظر ترجمته في: كفاية المحتاج، لوحة: ١٣٠ظ، ١٣١. ونيل الابتهاج: ص٣٦٦ إلى ٣٦٨. توشيح الدّيباج، بدر الدّين القرافي، (تحقيق: أحمد الشتيوي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ١٠٤٣هـ ـ ١٩٨٣م)، رقم التّرجمة (٢٤٠): ص٢٢٩، ٢٣١. الفكر السّامي، رقم التّرجمة (٧١٢): ٣١٩/٢. شجرة النّور، رقم التّرجمة (٩٩٨): ٢٧٠/١. الأعلام: ٢٨٦/٧.

الأئمّة؛ من هذه المؤلّفات: قرّة العين بشرح ورقات إمام الحرمين في الأصول، تحرير الكلام في مسائل الالتزام، هداية السّالك المحتاج في مناسك الحجّ، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، وغيرها.

أخذ الفقه وعلوماً أخرى عن والده الحطّاب الكبير، وأحمد بن عبدالغفّار، وغيرهما. وعنه أخذ ولدُه يحيى الحطّاب، وغيره.

مات في طرابلس الغرب في تاسع ربيع الثّاني، سنة: ٩٥٤هـ/١٥٤٧م، رحمه الله تعالى.

ب ـ بركات بن محمّد الحطّاب[١]:

هو بركات بن محمّد بن عبدالرّحمٰن، الحطّاب، المكّي الدّار، التّاجوري النِّجار. كان فقيهاً، إماماً، صالحاً، علّامةً، متفنّناً، معمِّراً، بركةً.

أخذ العلم عن والده، وغيره؛ وعنه أخذ جماعةٌ، منهم: ابن أخيه يحيى بن محمّد الحطّاب، ووالدُ الشّيخ أحمد بابا[٢].

ألّف المنهج الجليل في مختصر خليل، في أسفارٍ أربعة.

توفّي بعد سنة: ٩٨٠هـ/١٥٧٢م، عن عُمرٍ عالٍ؛ رحمه الله تعالى. ولم يُعلَم تاريخ ولادته.

---

(١) انظر ترجمته في: كفاية المحتاج، لوحة: ٢٨ظ. نيل الابتهاج، ص٨٥. شجرة النّور، رقم التّرجمة: ١٠٤٩، ٢٧٩/١. معجم المؤلّفين: ٤٢/٣؛ وقد قال عنه: «بركات الخطّاب»، والصّواب: «الحطّاب». كشّاف معجم المؤلّفين: ٣٤٩/١. ذيل وفيات الأعيان المسمّى: درّة الحجّال، لابن قاضي شهبة، تحقيق: محمّد الأحمد أبو النّور، (مطبعة دار التّراث، القاهرة؛ الطّبعة الأولى، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م): ٢٢٨/١.

(٢) **والد أحمد بابا**: هو أحمد بن أحمد بن عمر (أبو العبّاس)، التّنبكتي. إمام، عالم، علّامة، محقّق. أخذ عن عمّه محمود والأجهوري، وعنه ابنه أحمد وغيره. له شرح منظومة المقبلي في المنطق، وحاشية على التّتائي على خليل. ولد سنة ٩٢٩هـ، وتوفّي سنة ٩٩١هـ. انظر: شجرة النّور، رقم التّرجمة ١٠٩٠: ٢٨٦/١.

ثانياً: تلاميذه:

بعض من ترجم للشّيخ لم يذكُر من أخذ العلم عنه، والبعض الآخر ذكر ذلك؛ كما ورد في شجرة النّور أنّ له تلميذيْن. وقال التّنبكتي في ترجمته للشّيخ يحيى: «شيخنا»، فأقرّ كونُه تلميذا له. وهذه ترجمة لتلميذَيه:

أ ـ أحمد بابا التّنبكتي[١]:

هو أبو العبّاس أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر أَقّيت، التُّنبكتي، الصّنهاجي، السّوداني.

وُلد ليلة الأحد، الحادي والعشرين من ذي الحجّة، سنة: ٩٦٣هـ/١٥٥٦م. فقيه عالم مشارِك في بعض العلوم، اشتُهِر بالصّلاح والدّين المتين.

أخذ العلم عن والده، وعمّه أبي بكر[٢]، والشّيخ يحيى الحطّاب؛ وعنه أخذ أئمّة من أهل جهته ومراكش[٣]، منهم: أبو القاسم بن أبي نعيم[٤] والشّيخ الرّجراجي[٥]. له ما يزيد على الأربعين تأليفاً، منها: نيل الابتهاج

---

(١) انظر: خلاصة الأثر، محمّد المحبّي، (دار صادر، بيروت): ١٧٠/١ وما بعدها. الفكر السّامي، رقم التّرجمة (٧٣٠): ٣٢٦/٢. شجرة النّور، رقم التّرجمة (١١٥٧): ٢٩٨/١، ٢٩٩. الأعلام: ١٠٢/١، ١٠٣؛ وقد ذكر أنّ وفاته سنة: ١٠٣٦هـ. معجم المؤلّفين: ١٤٥/١، ١٤٦. كشّاف معجم المؤلّفين: ٥٧/١.

(٢) **عمّ أحمد بابا**: هو أبو بكر بن أحمد بن عمر، أقّيت، التّنبكتي، العالم، الفاضل؛ نزيل المدينة المنوّرة. له تآليف في التّصوّف منها: معين الضّعفاء في القناعة. ولد سنة ٩٣٢هـ، وتوفّي سنة ٩٩١هـ. انظر: شجرة النّور، رقم ١٠٨٩: ٢٨٦/١.

(٣) **مراكش**: بالفتح ثمّ الشّين، مدينة بالمغرب، وكان أوّل من اختطّها يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين، سنة ١٠٦٢م. ازدهرت في عهد الموحّدين في القرن ١٢م، الذين زيّنوها بالمساجد المختلفة الأشكال. انظر: معجم البلدان: ٩٤/٥. المنجد في الأعلام: ص٦٤٩.

(٤) **أبو القاسم بن أبي نعيم**: لم أقف على ترجمته.

(٥) **الرّجراجي**: ستأتي ترجمته في قسم التّحقيق.

بتطريز الدّيباج، كفاية المحتاج لمن ليس في الدّيباج، وله حواشٍ ومختصراتٍ في الفقه والحديث والعربيّة. كانت وفاته في سابع شعبان سنة: ١٠٣٢هـ/١٦٢٣م؛ رحمه الله تعالى.

ب ـ أبو السُّعود القسطلاني[١]:

هو أبو السّعود بن عليّ الزَّيْن، المعروف بالقسطلاني، المكّي، المالكي. وُلد بمكّة ونشأ بها، ولا يُعلم تاريخ ولادته. كان عاملاً، عالماً، ناسكاً، إماماً، بمثله يُقتدى. أخذ عن جماعة منهم: علي بن جار الله[٢]، والشّيخ يحيى الحطّاب. وعنه أخذ عبدالله بن سعيد باقشير[٣] والفاضل حنيف الدّين المرشدي[٤]. له مؤلّفات منها: الفتح المبين في شرح أمّ البراهين، منظومة في مسوِّغات الابتداء بالنّكرة، وله غير ذلك.

كانت وفاته سنة: ١٠٣٣هـ/١٦٢٤م، ودُفن بالمعلاّة بمكّة المشرّفة؛ رحمه الله تعالى.

---

(١) انظر: خلاصة الأثر: ١/١٢٢، ١٢٣. شجرة النّور، رقم التّرجمة ١١١١: ١/٢٩٠. هديّة العارفين: لإسماعيل باشا البغدادي، (دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان؛ سنة: ١٤١٣هـ/١٩٩٢م): ٥/٢٤٢، ٢٤٣. معجم المؤلّفين: ٤/٢١٧، ٢١٨. كشّاف معجم المؤلّفين؛ رقم التّرجمة ٥٦٢٦: ٢/٧٩٢.

(٢) **عليّ بن جار الله**: ابن محمّد بن أبي اليمن، القرشي، المخزومي، الحنفي (ابن ظهيرة)، فقيه، منطقيّ، شاعر. توفّي سنة ١٠١٠هـ ـ ١٦٠١م. انظر: هديّة العارفين: ٥/٧٥١. معجم المؤلّفين: ٧/٥٠. كشّافه، رقم التّرجمة ٩٢١٣: ٢/١٢٧٨.

(٣) **عبدالله بن سعيد**: ابن عبدالله باقشير، المكّي، الشّافعي، أديب، شاعر. له نظم تصريف الزّنجاني. ولد عام ١٠٠٣هـ ـ ١٥٩٥م، وتوفّي سنة ١٠٧٦هـ ـ ١٦٦٥م. انظر: هديّة العارفين: ٥/٤٧٨. معجم المؤلّفين: ٦/٥٨. كشّافه، رقم ٩٢١٣: ٢/١٢٧٨.

(٤) **حنيف الدّين المرشدي**: ابن عبدالرّحمٰن بن عيسى، الحنفي، المكّي. فقيه، أديب؛ ولد بمكّة عام ١٠١٤هـ ـ ١٦٠٥م، وتوفّي بالمدينة عام ١٠٦٧هـ ـ ١٦٥٧م. انظر: هديّة العارفين: ٥/٣٣٩. معجم المؤلّفين: ٤/٨٧. كشّافه، رقم ٤٩٧٢: ١/٦٣١.

المبحث الثّالث:

مكانته العلميّة، مصنّفاته، ووفاته

أوّلاً: مكانته العلميّة:

لقد ألمّ الشّيخ ـ رحمه الله تعالى ـ ببعض علوم عصره، فكان فقيهاً، حسابيًّا، فرضيًّا، ميقاتيًّا.

قال التّنبكتي: «فقيهُ مكّة وعالمها، كان علاّمة متفنِّناً فاضلاً مؤلِّفاً صالحاً، آخرُ فقهاء الحجاز».

كما أقرّ له بالعلم والفضل، وكونِه شيخا له؛ فقال في كفاية المحتاج، عند كلامه عمّن أخذ العلم عن الوالد محمّد بن محمّد الحطّاب: «وولدُه شيخُنا يحيى الحطّاب».

وقال محمّد مخلوف[1]: «خاتمة علماء الحجاز المالكيّة، الإمام العالم العامل، العمدة الفاضل، المعروف بالصّلاح والدّين المتين».

---

(١) **محمّد مخلوف** هو: محمّد بن محمّد بن عمر مخلوف، الشّريف المنستيري، من مؤلّفاته: شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة، وهو كتاب في تراجم أعلام المالكيّة. توفّي سنة: ١٣٦٠هـ ـ ١٩٤١م. لم أقف على كتاب يتناول ترجمته.

وقال الحَجَوي[١]: «فقيه مكّة وعالمها، متفنّن بارع».

وقال بدر الدّين القرافي[٢]، بعد أن ذكر ترجمة الوالد ـ محمّد بن محمّد الحطّاب ـ: «هذا ما كتبه لي ولدُه الفاضل المفيد سيدي يحيى المكّي موطناً، باستدعاء منّي له في ذلك بخطّه»؛ فهذا يدلّ على ثقة بدر الدّين القرافي في يحيى الحطّاب، واعترافه له بالعلم، والفضل والإفادة.

وقد ذكر الشّيخ محمّد عليش[٣]، في كتابه (فتح العليّ المالك) مسألة، استند فيها إلى فتوى الشّيخ يحيى الحطّاب، خاصّةً بالمناسك، دلّت على مكانته عنده؛ فقال:

(ما قولُكم في معتمِر مرض، وسافَرَت رُفقتُه من مكّة بعد السّعي وقبل الحَلْق؛ ثمّ صحّ في الطّريق، وحَلَق؟

---

(١) **الحجوي** هو: (محمّد بن الحسن الحجوي، المالكي؛ يُجهل تاريخ مولده. فقيه، تولّى رئاسة المجلس العلمي، ووزارة المعارف، ووزارة العدل، ورئاسة الاستئناف الشّرعي الأعلى، وتولّى رئاسة عدّة وفود بالخارج؛ له تصانيف منها: الفكر السّامي في تاريخ الفقه الإسلامي، والعروة الوثقى. توفّي بالرّباط، سنة: ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م). انظر: معجم المؤلّفين: ١٨٧/٩. كشّافه، رقم ترجمته (١٢٦٧٧): ٥٠٩/١.

(٢) **بدر الدّين القرافي** هو: (محمّد بن يحيى بن عمر القرافي، المصري، المالكي (بدر الدّين)؛ عالم وقاضٍ، رئيس العلماء في عصره. أخذ العلم عن والده، والأجهوري، وغيرهما. له مؤلّفات منها: ذيل على الدّيباج، وتعليق على ابن الحاجب. مولده في رمضان عام: ٩٣٨هـ أو ٩٣٩هـ، وتوفّي في رمضان عام: ١٠٠٨هـ أو ١٠٠٩هـ). انظر: كفاية المحتاج، لوحة ١٣٤. ونيل الابتهاج: ص٣٧٣، ٣٧٤. شجرة النّور، رقم التّرجمة (١١٠١): ٢٨٨/١. الفكر السّامي، رقم التّرجمة (٧٢١): ٣٢٣/٢. معجم المؤلّفين: ١٥٠/١١ و ١٠٨/١٢.

(٣) **عليش** هو: (محمّد بن أحمد بن محمّد عليش (أبو عبدالله)، المالكي، الأشعري، الشّاذلي، الأزهري، شيخ سادات المالكيّة بمصر ومفتيها؛ أخذ عن الشّيخ الأمير الصّغير ومصطفى البولاقي وغيرهما. من مصنّفاته: شرح مختصر خليل، وحاشية على شرح إيساغوجي في المنطق. ولد بالقاهرة سنة: ١٢١٧هـ ـ ١٨٠٢م، وتوفّي بها سنة: ١٢٩٩هـ ـ ١٨٨٢م). انظر: شجرة النّور، رقم التّرجمة (١٥٤٣): ٣٨٥/١. معجم المؤلّفين: ١٢/٩. كشّاف معجم المؤلّفين، رقم التّرجمة (١١٩٢٥): ١٦٥٠/٣.

فأجبت بما نصّه: الحمد لله والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد رسول الله؛ إن صحّ بقرب مكّة حَلق، ولا شيء عليه، إن لم يَصِل بلده؛ فإن وصل بلده أو تباعد حلق وأهدى.

قال الشّيخ **يحيى الحطّاب** في مناسكه: ولم يَختلف أهل المذهب في الحِلاق في الحجّ والعمرة، أنّه ليس بِرُكن، وأنّه واجب ينجبر بالدّم.. فمن أخّره حتّى طال أو رجع لبلده لزِمه الهدْيُ باتّفاق أهل المذهب)[1].

ثانياً: مصنّفاته:

تنوّعت تصانيف الشّيخ من شروح لكتب غيره، إلى اختصارات، إلى تصانيف من عنده؛ وقد كانت تصانيفه هذه دائرة بين الفقه والحِساب والميقات.

ويمكن إعطاء وصف لهذه المصنّفات، مع ذكر أماكن وجودها؛ كما جاء في الفهارس.

في الفقه:

١ ـ **أجوبة في الوقف**: وهو المراد بالتّحقيق، وسيفصّل الكلام عنه في بابه.

٢ ـ **إرشاد السّالك المحتاج إلى بيان أفعال المعتمر والحاج**:

ذَكر الزّركلي[2] أنّ هذا الكتاب مخطوط، ولا يُعلم الآن هل هو مطبوع أم لا؟

---

(١) فتح العليّ المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك، عليّش، (مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطّبعة الأخيرة، سنة: ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م): ١/١٨١.

(٢) **الزّركلي** هو: خير الدّين بن محمود بن محمّد، الزّرِكلي، الدّمشقي. شغل عدّة مناصب فكريّة وعلميّة ووزاريّة ؛ وترك عدّة أعمال أدبيّة، وشعريّة، ونثريّة، منها ديوانه الشّعري، وشبه الجزيرة العربيّة في عهد الملك عبدالعزيز. ولد سنة ١٣١٠/١٨٣٩م، وكانت وفاته سنة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م. انظر: الأعلام للزّركلي: ٨/٢٦٧ إلى ٢٧٠.

وهذا الكتاب يُعتبر شرحاً لكتاب والده في المناسك الموسوم بـ: (هداية السّالك المحتاج إلى بيان أفعال المعتمر والحاج)؛ ذَكر في مقدّمته أنّه أوضح فيه مشاكل تأليف والده؛ لأنّه ظهر له أنّ من ليس عنده حفظ لمسائل الإحرام، ولا كثرةُ ممارسةٍ لها ولا إلمامٌ، ربّما يصعُب عليه عند إرادة الكشف عن شيء من مسائله، هل هو واجب أو سنّة أو مستحبّ أو مكروه أو حرام.. فمن ليس عنده حفظٌ ولا ممارسةٌ لا يهتدي إلى الصّواب إلاّ بعد مراجعة غالب تلك الأبواب.

فرأى أن يذكُر الأحكامَ في الفصول المذكورةِ ليسهُلَ تناوُلُها، ورتّب الأبوابَ ترتيباً منطقيًّا تسلسليًّا.

كما استدرك المصنّف فيه فروعاً وأحكاماً مهمّة، وأتى فيه بزيادات لم يذكرها والده في المناسك.

قال في أوّله: (الحمد لله الذي فرض الحجّ إلى بيته العتيق، ويسّر لقاصديه أسباب التّوفيق.. وبعدُ: فإنّ المنسك المسمّى: هداية السّالك المحتاج إلى بيان أفعال المعتمر والحاجّ، تأليف والدي..فاستخرت الله تعالى في ذلك، وبادرتُ إليه، وعوّلتُ في إتمامه عليه..)[1].

---

(١) انظر نِسْبة الكتاب للمصنّف في الأعلام: ٢١٤/٩. معجم المؤلّفين: ٢٢٦/١٣، ٢٢٧.
أمّا الفهارس التي ذُكر فيها هذا المصنّف، فنجد:
فهرس مخطوطات مكّة المكرّمة، إعداد جماعة من الأساتذة، (إشراف عبدالمالك بن عبدالقادر طرابلسي، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرّياض، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م)، السّلسلة الثّالثة (٣٢)، رقم ٥٢/فقه مالكي، رقم ٥ التّرتيبي (٣٠٦): ج٣/ص١٢٠.
فهرس مخطوطات جامعة الملك سعود، الفقه الإسلامي وأصوله، (إصدار عمادة شؤون المكتبات، الرّياض، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م): ٧١/٦.
فهرس المكتبة الأزهريّة: ج٢/ص٣٠٥.
دليل مخطوطات دار الكتب النّاصريّة بتمكروت، إعداد: محمّد المنوفي، (المملكة المغربيّة، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م)، رقم المخطوط: ٢١٦٦ي، رقم ٥ التّرتيبي (٢٣٥٦): ص١٤٤.
فهرس المخطوطات العربيّة المحفوظة في الخزانة العامّة بالمغرب، محمّد محيي الدّين المشرفي، (العدد الأوّل، القسم الثّالث، مطبعة التّومي، الرّباط، ١٩٧٣م)، فقه=

٣ ـ حاشية الحطّاب[١]:

تسمّى كذلك: حاشية على الرّسالة، حواشي على رسالة القيرواني، وتعليقات على الرّسالة.

وهي حاشية على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، جرّدها من تعليقات والده على هامش الرّسالة المذكورة.

ذكر في أوّلها سبب جمعه لها، فقال:

(وبعد: فالموجِب لسطور هذه الأوراق، أنّي رأيت نسخة الوالد محمّد بن محمّد الحطّاب من رسالة الشّيخ أبي محمّد عبدالله بن أبي زيد القيرواني، محتويةٌ على حواشي حميدة، متضمّنة لتقييدات وأنقالٍ غريبة مفيدة، وتتمّات مع فروع مناسبة عديدة؛ غير أنّ منها جملة مستكثرَة، مفرّقة بين صفحاتها منتشرة، وشيء منها على الهوامش إلى العدم بسبب تقطيعها متبادرة.

= مالكي، فقه العبادات، توجد نسختين منه، ج١/ص١٦٦، ١٦٧.
فهرس مخطوطات مكتبة جامعة قاريونس المركزيّة، بنغازي، ليبيا، إعداد: فرج ميلاد شمبش، (منشورات جامعة قاريونس ـ المكتبة المركزيّة ـ، ١٩٨٣م)، رقم ٥ التّرتيبي (٨٥٥): ج٢/ص٢٦.
الثّبت لبعض ما حوته خزائن إقليم توات بولاية أدرار، لكريم شريف بوغريس، (مكتبة أولاد علي بن موسى بتمنطيط، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م)، رقم ٥ التّرتيبي (١٩٣): ص١٨.

(١) من ترجم للشّيخ لم يذكر له هذا المصنَّف؛ أمّا الفهارس التي وُجد بها، فنجد:
فهرس الكتب العربيّة الموجودة بدار الكتب المصريّة، مخطوطة رقم (٢٠٨): ج١/ص٤٧٩.
فهرس مخطوطات المغرب الأقصى، إعداد محافظة المكتبة، (المكتبة العامّة بتطوان، ١٩٧٣م)، رقم المخطوط: ١٤، الرّقم التّرتيبي (١٣٤٦): ج٥/ص٦٥.
فهرس المخطوطات العربيّة الموجودة بالمسجد الكبير بالجزائر: ص٥٩.
كما ذكره محقّق كتاب: تحرير الكلام، وقال: (توجد منه نسخة بالمكتبة العامة بتطوان، رقم: ١٤). انظر: تحرير الكلام في مسائل الالتزام، الحطّاب الأب، تحقيق: عبدالسّلام محمّد الشّريف، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م)، قسم الدّراسة للمحقّق.

فأردت في هذه الأوراق جمع شملها، ونظم عقدها، صوناً لها من الضّياع، وسهولةً لمن أراد بها ـ أو شيئاً منها ـ وجهاً من وجوه الانتفاع. جعلت ذلك تذكرة لنفسي، ولمن لاق بخاطره من أبناء جنسي؛ متمثّلاً في ذلك كلام سحنون ـ رحمه الله ـ:

العلمُ صيدٌ والكتابة قيدُه قيّد صُيودَك بالحبال الموثّقة
فمن الجهالة أن تصيد حمامة وتتركَها بين الأوانس مطلقة

٤ ـ رسالة في حكم بيع الأحباس[١]:

لم تذكره كتب التّراجم، وورد ذكره في فهرس الكتب العربيّة بدار الكتب المصريّة.

٥ ـ الفتاوى[٢]:

قد يكون هذا المصنّف عبارة عن فتاوى فقهيّة؛ لأنّه لم تَثبُت معلومات عنه، ولا عن موضوع الفتاوى فيه، كما أنّ كتب التّراجم لم تَذكُر له هذا المصنَّف؛ وقد يكون هذا المصنَّف هو نفسُه (أجوبة في الوقف).

٦ ـ وصلة المبتدي في الفرائض، وكفاية المنتهي الرّائض[٣]:

وهو كتاب في الفرائض، أوّلُه بعد البسملة والدّيباجة:

(الحمد لله المنفرد بالبقاء، قاهر الخلائق بالموت...

أمّا بعد: فهذه مقدّمةٌ في الفرائض، متحمِّلة، متضمِّنةٌ مُجملَ ما يُحتاج إليه من مسائلها، وكيفيّةِ وضعِها، وعملِ المناسخات وما يتعلّق بذلك..).

---

(١) انظر فهرس الكتب العربيّة بدار الكتب المصريّة، مخطوطة رقم (٤٢٧): ج١/ص٤٨٣.

(٢) انظر: فهرس مخطوطات الجمهوريّة التّونسيّة، إعداد جماعة من الباحثين، (دار الكتب الوطنيّة، ٢٠ شارع سوق العطّارين، تونس، أفريل ١٩٧٨م)، رقم المخطوط (٢٩٥٧): ج٣/ص١٩٢.

(٣) لم تذكره كتب التّراجم، وورد في فهرس مخطوطات جامعة الملك سعود ـ قسم الفقه وأصوله ـ، رقم المخطوط (٤٠٠٧): ج٦/ص٣٢١.

آخره: (ومثلُ ذلك لو كان خارج القسمةِ كسراً فقط، لكان العملُ في ذلك أن تُحصِّل بسطَ الكسرِ وتَضرِب فيه ما لكلّ وارثٍ من المسألة، وتقسِم الحاصلَ على مَقام الكسر أو مقاماته، يَحصُل المطلوب. وهذا آخر ما أردتُ إيرادَه من مسائلِ الفرائض والمناسخات وقسمةِ التّركات... وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم).

في الحساب:

١ ـ مختصر النّزهة في علم الحساب[(١)]:

هي رسالة في علم الحساب، وتُسمّى: مقدّمة في علم الحساب، مختصر كتاب النّزهة؛ وهي اختصار لكتاب نزهة النُّظّار، لمؤلّفه: أحمد بن الهائم المقدسي[(٢)].

---

(١) لم تذكر كتب التّراجم هذا المصنَّف، وذُكر وجوده في الفهارس الآتية:
فهرس مخطوطات مكتبة مكّة المكرّمة، رقم ٥ التّرتيبي: ١٥٠٧، ٣/٥٠٣.
فهرس المخطوطات العربيّة المصوّرة ؛ عمّان، الأردن، رقم ٥ التّرتيبي: ٤٠٢، ٢/ ٦٢.
فهرس مخطوطات الجمهوريّة التّونسيّة، رقم ٥ التّرتيبي: ٥٦١، ١/ ١١٣.
فهرس مخطوطات دار الكتب الظّاهريّة ـ الرّياضيّات ـ، محمّد صلاح عايدي، (مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٨٣م)، هناك نسختان رقمهما التّرتيبي على التّوالي ٥٥، ٥٦: ص٣٨، ٣٩.
فهرس المخطوطات العربيّة في الرّياضيات (١)، برلين، ألمانيا، رقم ٥ التّرتيبي (٢٣): ص٥٤، ٥٥.

(٢) **ابن الهائم** هو: (أحمد بن محمّد بن عماد (أبو العبّاس)، القرافي، المصري، ثمّ المقدسي، الشّافعي. عَنِي بالفرائض والحساب حتّى فاق الأقران، سمع منه ابن حجر وغيره. من مؤلّفاته: مرشدة الطّالب في الحساب، والمقنع في الجبر والمقابلة. وُلد بالقاهرة، عام: ٧٥٦هـ ـ ١٣٥٥م، وفي الشّذرات، عام: ٧٥٣هـ؛ وتوفّي في بيت المقدس، عام: ٨١٥هـ ـ ١٤١٢م). انظر: الضّوء اللاّمع، رقم التّرجمة ٤٤٩: ١/ ١٥٧. درّة الحجّال، رقم التّرجمة (٩٠): ١/ ٦٣. شذرات الذّهب: ٧/ ١٠٩. معجم المؤلّفين: ٢/ ١٣٧.

أوّله: (وصلّى الله على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه وسلّم.. وبعد:

فهذه مقدّمة في علم الحساب، جعلتها وسيلة للمبتدي في هذا العلم إلى غيرها من المطوّلات؛ مقتصراً فيها على ما يُحتاج إليه ممّا يتعلّق بأعمال الصّحيح والكسور من الجمع والطّرح والقسمة. اختصرتها من النّزهة، ورتّبتها على مقدّمة وبابَين...).

آخره: (.. ولو قَسمتَ أوّلاً على الخمسة ثمّ على الثّلاثة لكان أبين وأحسن؛ والله سبحانه وتعالى أعلم. وهذا آخر ما قصدتُ اختصاره من النّزهة، تمّت المقدّمة بحمد الله وعونه).

في الفلك:

١ ـ رسالة في معرفة استخراج أعمال اللّيل والنّهار من ربع الدّائرة، المسمّى بربع المجيب[١]:

وتسمّى أيضاً: مقدّمة مختصرة في معرفة استخراج أعمال اللّيل

---

(١) لم تذكره كتب التّراجم، وورد ذكره في الفهارس التّالية:
المنتخب من مقتنيات معهد المخطوطات، باكو بأذربيجان، رقم المخطوط في المركز: ٥٦٤، ص٨٨.
فهرس المخطوطات، مركز الملك فيصل للبحوث والدّراسات الإسلاميّة، الرّقم التّرتيبي (٢٣٧): العدد ٢/ص٧٩.
فهرس المخطوطات المصوّرة ـ العلوم ـ لجامعة الدّول العربيّة، القسم الأوّل: الفلك، التّنجيم، الميقات، رقم ٥ التّرتيبي (١١٠): ٣/ ٥٦.
فهرس مخطوطات المغرب الأقصى وتيطوان، القسم الرّابع، رقم المخطوط: ٥٦٧، رقم ٥ التّرتيبي (٧٠٤): ص٣٥.
فهرس الكتبخانة الخديويّة ـ المصريّة ـ، كارل فوريس مع السّيّد محمّد الببلاوي، (طبعة مصر، الطّبعة الأولى، ١٣٠٨هـ): ٥/ ٢٥٢.
فهرس المخطوطات المصوّرة في مكتبة جامعة حلب، الدّكتور: خالد ماغوط، (معهد التّراث العلمي العربي، حلب، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م)، رقم المخطوط (١٢٨٨): ص١٤٧.

والنّهار بربع المجيب، ورسالة في استخراج الجهات الأربع والقبلة بالرّبع المجيب.

وقد رتّب المصنّف الرّسالة على مقدّمة، أوّلها بعد الديباجة:

(يقول العبد الفقير إلى الله تعالى، يحيى بن محمّد بن حطّابٍ - لطف الله به -، آمين:

الحمد لله فالق الإصباح وجاعل اللّيل سكناً.. فهذه مقدّمةٌ مختصرة في معرفة استخراج أعمال اللّيل والنّهار من ربع الدّائرة، المسمّاة بالرّبع المجيب؛ جعلتها وسيلةً للمبتدي...).

وآخرها: (ومنها أن تضع على السّتّين، وتعلم بالمُرّيّ على ما تُريد من إعداده، ثمّ تنقُل الخيط إلى جيب التّمام؛ فإن قطع المرّيّ منه مثل ذلك العدد فهو صحيح. والله سبحانه وتعالى أعلم).

٢ - مختصر سلك الدّرّين في حلّ النّيّرَين واستخراج الأهلّة وحلّ العقدتين[(١)]:

وسلك الدُّرّين، ألّفه: شهاب الدّين أحمد بن موسى بن عبدالغفّار[(٢)] المالكي؛ أوّل هذا المختصر:

---

(١) ذُكر هذا المصنَّف في: الأعلام: ٨/ ١٦٩. معجم المؤلّفين: ٢٢٦/١٣، ٢٢٧.
أمّا الفهارس التي وجد بها فهي:
فهرس المخطوطات العربيّة في مكتبة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشّرقيّة بالقاهرة، الدّكتور: أيمن فؤاد السّيّد، (السّنة: ١٩٩٦ م، مجلّد ٣٤/ ص٩٧.
فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزيّة في السّليمانيّة، محمود أحمد محمّد، (مكتبة البابانيّين، مطبعة بغداد، شارع المتنبّي، سنة: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م)، رقم المخطوط: ت/مجاميع/٢٩٠: ج١/ ص٤٩٧.
فهرس الكتب الموجودة بالمكتبة الأزهريّة، (مطبعة الأزهر، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م)، رقم المخطوط: [١٣]٤٥٤٠: ج٦/ ص٣١٦.
فهرس الكتبخانة: ج٥/ ص٢٨٤، ٣١٦.

(٢) **ابن عبدالغفّار** هو: (شرف الدّين أحمد بن موسى بن عبدالغفّار، المالكي؛ نادرة الزّمان في معرفة العلوم والإتقان. =

(الحمد لله الذي جعل في السّماء بروجاً وسراجاً منيراً، تجري لمستقرّ له، ذلك تقدير العزيز العليم.. فهذه رسالةٌ لطيفةٌ في معرفة الشّمس والقمر والجوزهر، لعام كامل أوّلُه المحرّم، وليوم مخصوص من الدّرّ.. اختصرتها من رسالة سيّدنا وشيخنا أحمد بن موسى بن عبدالغفّار..، المسمّاة: (بسلك الدّرّين في حلّ النّيّرين)؛ وسمّيتها: (مختصر سلك الدّرّين في حلّ النّيرين واستخراج الأهلّة وحلّ العقدتين)، ورتّبتها على مقدّمة وأربعة أبواب وخاتمة..).

وآخره: (والمقارنة من السّعود محمودة وصالحة لكلّ ما تريد، والله أعلم بغيبه. وهذا آخر ما يسّر الله الكريم جمعَه..).

٣ ـ وسيلة الطّلاّب لمعرفة أعمال اللّيل والنّهار بطريق الحساب[١]:

وهو كتاب مختصر من رسالة والد المؤلّف، مطبوع، كما ذُكر في

= أخذ عن أئمّة، وعنه جماعة منهم الشّيخ محمّد الحطّاب؛ من مؤلّفاته: شرحَيْن على لمع ابن الهائم، وسلك الدّرّين في حلّ النّيّرين. ولد بمصر، ويُجهل تاريخ مولده، كما يُجهل تاريخ وفاته، إذ كان حيًّا سنة: ٩٣٧هـ ـ ١٥٣٠م). انظر: كفاية المحتاج: ١٧ظ. نيل الابتهاج: ص٧٨. توشيح الدّيباج: ص٦٧. شجرة النّور، رقم التّرجمة ١٠٠٣: ١/ ٢٧١. إيضاح المكنون، البغدادي، (دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م): ٣/ ٦٥. معجم المؤلّفين: ١/ ٢٧٧. وقد ورد في معجم المؤلّفين: كنيته شهاب الدّين، وفي باقي الكتب كنيته: شرف الدّين.

(١) ذُكر هذا المصنّف في: الأعلام: ٨/ ١٦٩. معجم المؤلّفين: ١٣/ ٢٢٦، ٢٢٧. معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة، يوسف إليان سركيس، (مطبعة سركيس، مصر، ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٨م): ١/ ٧٧٩، ٧٨٠. وقد ذَكر أنّ الكتاب مطبوع، طُبع بهامش كتاب: لآلي الطّلّ النّديّة.

كما ذُكر في الفهارس الآتية:

فهرس مخطوطات مكّة المكرّمة، رقم المخطوط: ١٨/ فلك، الرّقم التّرتيبي: ١٥١٧؛ ونسخة أخرى برقم: ١٩/ حساب: ج٣/ص٥٠٦، ٥٠٧.

فهرس مخطوطات دار الكتب الظّاهريّة، علم الهيئة وملحقاته، رقم المخطوط ٨٨٦٨: ص٢٤٧.

فهرس المكتبة الأزهريّة: ٦/ ٣٢٢. توجد نسختان منه. =

بعض كتب التّراجم والفهارس؛ مرتّب على سبعة أبواب وخاتمة.

أوّله، بعد الدّيباجة: (الحمد لله الذي جعل اللّيل لباساً والنّهار نشوراً، وجعلها خِلْفة لمن أراد أن يذّكر أو أراد شكوراً...

وبعد: فهذه رسالة متضمّنة لمعرفة ما يحتاج إليه المبتدئ في علم الفلك من استخراج أعمال اللّيل والنّهار بطريق الحساب، ومعرفة أوقات الصّلاة والأعمال الفلكيّة من غير آلة من الآلات).

آخره: (فإنّ ذِكْرَها على سبيل التّفصيلِ لا تَسعه هذه المقدّمة، وهذا ما أردت اختصاره من أصل هذا الكتاب ممّا يتعلّق بأعمال اللّيل والنّهار، وما يوصلُ إلى ذلك).

ملحوظات:

١ ـ أحمد بابا التّنبكتي، والحجوي في ترجمتهما للشّيخ يحيى الحطّاب؛ ذكرا أنّه عَروضي، لكن لم أجد له كتاباً في هذا الفنّ، في الفهارس المتناولة.

٢ ـ الحجوي قد أضاف للشّيخ كتاب (**الالتزامات**)، وقد وَهِم في ذلك؛ فالكتاب ليس له، وإنّما هو لوالده؛ قال: (له تآليف.. منها الالتزامات، كتاب مطبوع).

والصّواب أنّ كتاب: (تحرير الكلام في مسائل الالتزام)، أو (الالتزامات) للوالد محمّد بن محمّد الحطّاب.

٣ ـ إحدى الفهارس العربيّة نَسبت هذا المصنَّف: (**شرح نظائر**

= فهرس الخزانة العلميّة ـ الصّبيحة ـ بسلا، الكويت، الدّكتور: محمّد حجّي، (معهد المخطوطات العربيّة، الصّفاة، الكويت، الطّبعة الأولى، ١٣٠٨هـ)، رقم المخطوط ١٢/١٩٩: ص٥٥٥.

فهرس الكتبخانة الخديويّة المصريّة: ج٥/ص٣٢٩.

الرّسالة)[١] للشّيخ يحيى الحطّاب؛ والصّواب أنّ هذا المصنَّف لوالد الشّيخ، الذي يشرح فيه نظمَ نظائرِ الرّسالة لابن غازي[٢].

٤ ـ كتاب (**مواهب الجليل في شرح مختصر خليل**)، تركه الأب مسوّدةً، فبيّضه ولدُه يحيى.

٥ ـ ذكر محقّق كتاب (تحرير الكلام في مسائل الالتزام)، أنّ هناك كتاباً اختُلف في نسبته إلى الوالد أو الابن، فقال[٣]: (كتاب **القول الواضح في أحكام الجوائح**، نسبه البغدادي[٤] في هديّة العارفين، وإيضاح المكنون للوالد محمّد بن محمّد؛ لكن توجد نسختان منه: إحداهما بالخزانة العامّة بالرّباط، والثّانية بالخزانة العامّة الملكيّة بالرّباط؛ وهما منسوبتان إلى ولده يحيى بن محمّد بن محمّد الحطّاب. وبأعلى هامش الورقة الأولى من نسخة الخزانة الملكيّة، كُتِب ما يلي: «مؤلِّف هذا هو ولد الشّيخ محمّد الحطّاب، شارح المختصر». ولم أقف على نسخة منسوبة لمحمّد الحطّاب إلاّ ما ذكَره البغدادي، كما أنّ الذين ترجموا ليحيى الحطّاب لم يذكروه من جملة مؤلّفاته.

---

(١) الفهرس الذي نسب هذا الكتاب للشّيخ، هو فهرس الخزانة العلميّة ـ الصّبيحة ـ بسلا، الكويت، ص١٨٤.

(٢) **ابن غازي** هو: (محمّد بن أحمد بن غازي (أبو عبدالله)، العثماني، المكناسي؛ خاتمة علماء المغرب ومحقّقهم. أخذ عن أبي زيد الكاواني وأبي العبّاس المزدغي، وعنه أخذ ابن العبّاس الصّغير وعليّ بن هارون. من مصنّفاته: شفاء الغليل في حلّ مقفل خليل، نظم مشكلات الرّسالة، وغيرها. وُلد بمكناسة سنة: ٨٤١هـ ـ ١٤٣٧م؛ وتوفّي بفاس، سنة: ٩١٩هـ ـ ١٥١٣م). انظر: كفاية المحتاج: ١٢٧ظ، ١٢٨. ونيل الابتهاج: ص٣٥٩، ٣٦٠. توشيح الدّيباج، رقم التّرجمة (١١٩٤٠): ص١٧٦ إلى ١٧٨. شجرة النّور، رقم التّرجمة (١٠٢٩): ١/ ٢٧٦. معجم المؤلّفين: ١٦/٩. الأعلام: ٣٣٦/٥.

(٣) تحرير الكلام في مسائل الالتزام، كلام المحقّق في قسم الدّراسة.

(٤) **البغدادي** هو: إسماعيل بن محمّد أمين بن سليم، الباباني أصلاً، البغدادي مولداً ومسكناً. مؤرّخ، أديب، عالم بالكتب ومؤلّفيها. له إيضاح المكنون، وهديّة العارفين. توفّي سنة ١٣٣٩هـ ـ ١٩٢١م. انظر: معجم المؤلّفين: ٢٨٩/٢ إلى ٢٩٠. كشّاف معجم المؤلّفين، رقم التّرجمة (٢٧٨٤): ١/ ٢٦٢.

وقد تكلّم فيه على الجوائح، وذكر أنّها تنحصر في خمسة فصول: الأوّل: في معنى الجائحة. الثّاني: في حكمها، وأصل وجوبها. الثّالث: في معرفة ما هو جائحة ممّا ليس بجائحة. الرّابع: فيما توضع فيه الجائحة ممّا لا توضع فيه. الخامس: في مقدارها، وكيفيّة اعتبارها. وقال في آخره: (وهذا آخر ما يسّر الله جمعَه وتحصيلَه، وإن تجد عيباً فسدّ الخُلَلا، واكْسُ ما تلقاه فضلاً حُلَلا).

والتّحقيق أنّ الكتاب له، إذ قال في كتابه (أحكام الوقف): (فمن أراد شيئاً من مسائله لا بدّ منه، كما فعلتُ ذلك في **باب الجائحة**).

ثالثاً: وفاته[1]:

توفّي الشّيخ ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ بمكّة بعد ثلاثٍ وتسعين وتسعمائة؛ وقد ضبط المترجمون له تاريخ وفاته في: **٩٩٥هـ/١٥٨٧م**.

(١) ذكر النّاسخ في مخطوط (أجوبة في الوقف)، النّسخة [ب]، رقم : **١٢٩٤**، أنّه كان الفراغ منه على يد مؤلّفه: يحيى بن محمّد الحطّاب، سنة ستّة وتسعين وتسعمائة (٩٩٦هـ)، وهذا يدلّ على أنّ المصنِّف لم يمت خلال سنة: **٩٩٥**هـ؛ لكن ما ذكره النّاسخ تصحيف لكلمة (تسعين)؛ لأنّه ذُكر في النّسخة [ج]، رقم : **٥٣٢**، أنّه كتبه يحيى بن محمّد الحطّاب في أحد شهور ستّة وستّين وتسعمائة (٩٦٦هـ).